

فضائل السيدة العذراء

حياة الاتضاع

كان الاتضاع شرطاً أساسياً لمن يولد منها رب المجد .

- كان لابد أن يولد من إنسانة متضعة، تستطيع أن تحتل مجد التجسد الإلهي منها. مجد حلول الوح القدس فيها... ومجد ميلاد الرب منها، ومجد جميع الأجيال التي تطوبها واتضاع إيصابتها أمامها قائلة لها "من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليّ..". كما تحتل كل ظهورات الملائكة، وسجود المجوس أمام إبنها. والمعجزات الكثيرة التي حدثت من إبنها في أرض مصر، بل نور هذا الابن في حضنها . لذلك كان ملء الزمان ينتظر هذه الإنسانية التي يولد ابن الله منها .
- وقد ظهر الاتضاع في حياتها كما سرى : بشرها الملاك بأنها ستصير أمّاً للرب، ولكنها قالت "هوذا أنا أمة الرب" (لوا: ١: ٣٨) أي عبدته وجاريته. والمجد الذي أعطي لها لم ينقص إطلاقاً من تواضعها . بل أنه من أجل هذا التواضع، منحها الله هذا المجد، إذ "نظر إلى اتضاع أمته" فصنع بها عجائب (لوا: ٤٨، ٤٩)
- ظهر اتضاع العذراء أيضاً في ذهابها إلى أليصابات لكيما تخدمها في فترة حملها. فما أن سمعت أنها حُبلى - وهي في الشهر السادس - حتى سافرت إليها في رحلة شاقة عبر الجبال. وبقيت عندها ثلاثة أشهر، حتى تمت أيامها لتلد (لوا: ٣٩: ١ - ٦٥). فعلت ذلك وهي حُبلى برب المجد.

حياة التسليم

- كانت تحيا حياة التسليم، لا تعترض: ولا تقاوم، ولا تحتج بل مشيئة الله في هدوء، بدون جدال.
- عاشت قديسة طاهرة في الهيكل ثم جاء وقت قيل لها فيه أن تخرج من الهيكل. فلم تحتج ولم تعترض، مثلما تفعل كثير من النساء اللاتي يمنعهن القانون الكنسي من دخول الكنيسة في أوقات معينة. فيتذمرن، ويجادلن كثيراً في احتجاج
- وكانت تريد أن تعيش بلا زواج فأمروها أن تعيش في كنف رجل حسبما تقضي التقاليد في أيامها. فلم تحتج وقبلت المعيشة في كنف رجل، مثلما قبلت الخروج من الهيكل.
- كانت قد صممت على حياة البتولية، ولم تفكر إطلاقاً في يوم من الأيام أن تصير أمّاً. ولما أراد الله أن تكون أمّاً، بحلول الروح القدس عليها (لوا: ١: ٣٥) لم تجادل، بل أجابت بعبارتها الخالدة "هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك".. لذلك وهبها الله الأمومة، واستبقى لها البتولية أيضاً، وصارت أمّاً، الأمر الذي لم تفكر فيه إطلاقاً.. بالتسليم، صارت أمّاً للرب.. بل أعظم الأمهات قدراً.

- أمرت أن تهرب إلى مصر، فهربت .وأمرت أن ترجع من مصر، فرجعت. وأمرت أن تنتقل موطنها من بيت لحم وتسكن الناصرة، فانتقلت وسكنت .كانت إنسانة هادئة، تحيا حياة التسليم، بلا جدال. لذلك فإن القدير صنع بها عجائب إذ نظر إلى اتضاع أمته .

حياة الاحتمال

- عاشت يتيمة من والديها الإثنيين، وهي في الثامنة من عمرها، وتحملت حياة اليتيم. وعاشت في الهيكل وهي طفلة، واحتملت حياة الوحدة فيها. وخرجت من الهيكل لتحميها في كنف نجار واحتملت حياة الفقر . ولما ولدت ابنها الوحيد، لم يكن لها موضع في البيت، فأضجته في مزود (لوا: ٧). واحتملت ذلك أيضاً. واحتملت المسؤولية وهي صغيرة السن. واحتملت المجد العظيم الذي أحاط بها، دون أن تتعبها أفكار العظمة .
- لم يكن ممكناً أن تصرح بأنها ولدت وهي عذراء، فصمتت واحتملت ذلك . احتملت السفر الشاق إلى مصر ذهاباً وإياباً. واحتملت طردهم لها هناك من مدينة إلى أخرى، بسبب سقوط الأصنام أمام المسيح (أش: ١٩: ١). احتملت الغربة والفقر. احتملت أن "يجوز في نفسها سيف" (لوا: ٢: ٣٥) بسبب ما لقاها ابنها من اضطهادات وإهانات، وأخيراً آلام وعار الصلب. لم تكتف العذراء- سلباً بالاحتمال- بل عاشت في الفرح بالرب . كما قالت في تسبحتها "تبتهج روحي بالله مخلصي" (لوا: ٤٧)
- أيضاً احتملت منظر ابنها الوحيد وهو ابن الله وهو معلق على عود الصليب ينفذ فيه حكم الإعدام.

الإيمان :

- في كل ما احتملته، لم تندم إطلاقاً. وفي تهديد ابنها بالقتل من هيروودس، وفي الهروب إلى مصر، وفي ما لقاها من اضطهاد اليهود، لم تقل وأين البشارة بأنه يجلس على كرسي داود أبيه، يملك.. ولا يكون لملكه نهاية" (لوا: ٣١، ٣٣)! بل صبرت و كما قالت عنها أليصابات "آمنت بأن يتم لها ما قيل من قبل الرب" (لوا: ٤٥)
- آمنت بأنها ستلد وهي عذراء. وتحقق لها ذلك. آمنت بأن "القدوس المولود هو ابن الله" (لوا: ٣٥) على الرغم من ميلاده في مزود . وتحقق لها ما آمنت به. عن طريق ما رأته من رؤى ومن ملائكة، ومن معجزات تمت على يديه. آمنت بكل هذا على الرغم من كل ما تعرض له من اضطهادات. آمنت به وهو مصلوب. فرأته بعد أن قام من الأموات (مت ٢٨)

الصمت والصلاة والتأمل :

كان من تدبير الله، أن تتيتم وأن تعيش في الهيكل .

- وفي الهيكل تعلمت حياة الوحدة والصمت، وأن تنشغل بالصلاة والتأمل. وإذ فقدت محبة وحنان والديها، انشغلت بمحبة الله وحده. وهكذا عكفت على الصلاة والتسبحة وقراءة العهد القديم، وحفظ الكثير من آياته، وحفظ المزامير ولعل تسبحتها في بيت أليصابات دليل واضح على ذلك. فغالبية كلماتها مأخوذة من المزامير وآيات الكتاب .
- وصار الصمت من مميزات روحياتها. فعلى الرغم من أنها في أحداث الميلاد: رأت أشياء عجيبة ربما تفوق سنها كفتاه صغيرة، وما أحاط بها من معجزات، ومن أقوال الملائكة والرعا والمجوس ... فلم تتحدث مفتخرة بأبجداد الميلاد، بل "كانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به في قلبها" (لو ٢: ١٩)

ما أكثر التطويبات التي أعطيت للعدراء .

- وردت في ألحان الكنيسة، وفي التسبحة، في التذاكيات والمدائح وفي الذكولوجيات، في كل يوم من أيام أعيادها، وفي الأبصلمودية الكيهكية، وفي تراويل الكنيسة، وفي الأبصلمودية . وتذكرها الكنيسة في مجمع القديسين قبل رؤساء الملائكة، وهكذا في كل تشفعاتها. والكنيسة في تطويب السيدة العذراء، إنما تحقق النبوة التي قالتها في تسبحتها "هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني" (لو ١: ٤٨)
- والكنيسة تقدم لها بخوراً، وتقدم لها السلام. وما أكثر التسايح التي تبدأ بعبارة "السلام لمريم" (شيرى ني ماريا) أو التسايح التي يبدأ بعبارة "افرحي يا مريم".
- **نذكرها في الأجبية وفي القداس وفي كل كتب الكنيسة :** في السنكسار، وفي الدفنار، وفي القطمارس، وفي الأبصلمودية، وفي كتب المردات والألحان. وفي صلوات الأجبية، نذكرها في القطعة الثالثة في كل ساعة من ساعات النهار متشفعين بها . ونذكرها في قانون الإيمان، إذ نقول في مقدمته "نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله ..".
- **نذكرها في صلاة البركة، أولها وآخرها .** فنبدأ البركة "بالصلوات والتضرعات والابتهالات التي ترفعها عنا كل حين والدة الإله القديسة الطاهرة مريم". وبعد أن نذكر أسماء الملائكة والرسل والأنبياء والشهداء وجميع القديسين، نختم بها البركة فنقول "وبركة العذراء أولاً وآخرأً".

